## المبحث الأول ـ الصـــــــين :

سكن الصين منذ زمن قديم جدا شعب ذو حضارة موحدة · وبالرغم من ان هذه الحضارة ليست اقدم حضارات العالم القديم بأي حال من الاحوال فقد تبلورت معالمهـا وتكاملت عناصرها منذ زمن مبكر واسـتمرت في تقدمهـا دون أن يصيبها الانهيـار · وقد تعـرض الصينيون أحيـانا لاحتـلال بلادهم من قبل غزاة اجانب ولكن الحضارة الصينية كانت اقوى من سيوف الغزاة لانها كانت تتغلب على قاهريها ويتتهي الامر باستيعابها لهم وبقيام حكم صيني جديد · والحضارة الصينية من الحضارات القديمة الاصيلة التي ولدت في موطنها كما نمت وازدهرت في موطنها واسست نظاما حكوميا قابلا للتطبيق وقادرا على مواجهـة مشاكل عدد كبـير مـن السـكان في القـرى والمـــدن ·

وساعدت عوامل جغرافية عديدة على جعل الصين اقليما مستقلا في تطوره خلال المراحل الاولى من تطور البشرية فالصين تطل على البحر من الشرق والجنوب الشرقي وتحدها في الجنوب والغرب جبال لا يكاد يمكن اجتيازها وحتى المواصلات الاعتيادية في تلك النواحي كانت دائما على قدر كبير من الصعوبة · وتنتشر في شـمال البـلاد غابات كثيفة تمتد حتى منشوريا ولم توجد في البلاد المتاخمة لحدودها أية منطقة يمكنها ان تعيل عددا كبيرا من السكان المستقرين أو منطقة على مستوى حضارى اكثر من حضارتها وتمتد في الشمال الغربي سهوب الحشائش الاسيوية التي كان يسكنها بدو يحبون الحروب · والغزاة الذين تعرضت لهم الصين جاءوها من هذه الناحية وبالرغم من محاولات هؤلاء الفاتحين الاحتفاظ بطريقة حياتهم البـدوية فانهم بمرور الزمن كانوا يتحضرون بالحضارة الصـــينية ويندمجون فيها ·

Scanned by CamScanner

ويختلف المناخ في ارجاء الصين الواسعة مثل اختلافه في الولايات المتحدة الامريكية فدرجة الحرارة في شمال الصين تكاد تمثل درجة الحرارة في السهول الشمالية من امريكا . والصين الجنوبية شبه استوائية في مناخها ولا يوجد الا عدد قليل من الحاصلات التي يمكن زراعتها في منطقة من مناطق هذه البلاد المترامية الاطراف . وفي بلاد الصين مناطق جبلية كثيرة ولكن السهل الساحلي وثلاثة وديان انهـــــار عظيمة وهي الهوانغ هو Hwang ho واليانغ سيكيانغ Yangtze Kiang في وسط الصين ونهر شوكيانك Chu Kiang في الجنوب تمد البلاد بمساحات شاسعة من الاراضي الخصبة الصالحة للزراعة وتوصل بين نهري الهوانغ هو واليانكس القناة الكبرى التي يبلغ طولها حوالي ١٢٥٠ كيلو مترا وقد بدأ العمل فيها في القرن الخامس قبل الميلاد وتم تأسيس قسم ثاني منه بين سنة ٦٥٥ـ٦٧١ ميلادية والقسم الثالث بين سنة ١٢٧٩ـ١٣٦٨ ميلادية .

ويظهر ان معظم جهات الصين كانت مغطاة بغابات عظيمة في العصور القديمـة وكانت تلك الغـابات تمتد في جنـــوب اليانكسي اذ ان هذه المنطقـة تتمتع بدرجة كافية من الحرارة تجعلها صالحة تماما لنمو الغاب الهندي ( البامبو ) وهو من انفع الاشجار في الصناعة الخشبية . وجميع مناطق الصين صالحة لاستقرار الانسان والعيش فيها وهي من البلاد القليلة التي تستطيع ان تسد حاجة سكان كثيف العدد وعلى درجة كبيرة من التقدم الحضاري دون الاعتماد على تجارة خارجية فقد كان في استطاعة الصينيين انتاج جميع السلع الضرورية في مناطق داخل حدود بلادهم . وكانت البيئة الطبيعية التي قامت فيها الحضارة الصينية بيئة قاسية فـكانت الاهوار والمستنقعات والفيضانات تعم وادي هوانغ هو ( النهر الاصفر ) فحولها الانسان الى أرض زراعية واقام عليها مهد الحضارة الصينية .

وعلى عكس الهند التي تقع جنوب النطاق الجبلي الكبير في نصف الكرة الشمالي من العالم القديم فان معظم الصين يقع شمال شرق هذا النطاق

Scanned by CamScanner

ولذلك كانت الهند معزولة عن جاراتها في الشمال ولكنها سهلة الاتصال بمن يجاورها في الشرق والغرب والجنوب فوفدت عليها هجرات بشرية قديمة من الغرب فمن لم يستطع من سكانها الوقوف في وجه المهاجرين التجأ الى مناطق منعزلة يأوى اليها في الغابات ولا تزال الهند حتى الوقت الحاضر بلد المتناقضات الاجتماعية حيث توجد القبائل البدائية التي لا تعرف الا الزراعة البسيطة في الغابات بل والجماعات التي كانت حتى وقت قريب تعيش على الجمع والالتقاط وكان هؤلاء على طرفي النقيض مع المتأنقين في تفكيرهم والمفرطين في غناهم ويتراوح بين الطرفين تدرج كبير من الصعب تحليل نظامهم المعقد · اما الصين فلم تقبل الا القليل من المهاجرين الاوائل وقد نزلوا بها قادمين من الغرب · وحضارة الصين حضارة اصيلة نشأت من الاطوار البدائية في العصر الحجري الحديث وقد تأثرت بها حضارة الشرق الاقصى وخضع سكانها الاصليون ومن وفد عليهم من المهاجرين لظروف زراعية واحدة فلم ينعزل المواطنون الاصليون حتى اذا طغى عليهم المهاجرون ولذلك لم يظهر في شمال الصين الا القليل من المتناقضات بين السكان ·

وعلى عكس الهنود نجد انه كانت للصينيين عقلية تاريخية وقد خلفوا الشيء الكثير من الكتابات التي تتعلق باحداث الماضي ولكن ما دونوه قد خضع لاعادة الكتابة مرات كثيرة ومع ذلك فان كثيرا من المعلومات الحضارية التي جاء ذكرها في تلك الكتب تقوم دون أي شك على اساس سليم وصحيح وتشير بقايا الانسان القديم ومخلفاته في الصين الى قدم استيطان الانسان في العصور الحجرية القديمة وقد عرف هذا الانسان بانسان بكين · وسكن الصين بعد ذلك صيادون من العصر الحجري القديم الاعلى والعصر الحجري المتوسط ولكن ابتداء من عام ٣٥٠٠ـ٣٠٠٠ قبل الميلاد على اكثر تقدير كانت تعيش في الصين جماعات مختلفة من المزارعين في العصر الحجري الحديث وعرف صانعو تلك الحضارات زراعة الدخن وبمرور الزمن اضافوا

Scanned by CamScanner

اليها زراعة القمح والشعير والرز ودجنوا الحيوانات ولا سيما الخنز
والبقر وقد عثر على موقع هذه الحضارات في جهات عديدة من شمال وغر
الصين . ويتحدث التاريخ الاسطوري عن سلالة هسيا Hsia التي يعو
تاريخها الى حوالي ٢٣٠٠_١٧٦٥ قبل الميلاد وكانت حضارة هذا العص
مقدمة لذلك الازدهار الحضاري ولقيام السلالات الحاكمة في القرن الثان
عشر واولها سلالة شانغ Shang التي تضعها الروايات الصينية فيما
بين عام ١٧٦٥_١١٢٣ قبل الميلاد .

ومن ناحية أخرى فاننا لا نعرف عن جنوب الصين الا عند ظهوره في
ضوء التاريخ نتيجة لوصول سكان حضارات الصين الشمالية اليه وغزو
السلالات الصينية له مرة بعد أخرى . ولم تقم حتى الان أية بحوث اثارية
هامة في جنوب الصين ولكن يتضح لنا مما يعثر عليه الآن من وقت لآخر
فوق سطح الارض ان هذه المنطقة كانت تشارك جنوب شرق آسيا في تقاليده
فبعض الآلات الحجرية تشبه الى حد كبير ادوات جنوب شرق آسيا كما انها
تشبهها في عدم وجود الآلات المشظوفة ذات الاطراف المدببة . وجبال الصين
الجنوبية كانت مركزا لزراعة النباتات وان عددا كبيرا من الحاصلات
الجذرية والورقية بدأ تدجينها هناك . ولا يشك احد بوجود فوارق
حضارية بين شمال الصين وجنوبه ١٨) منذ العصر الحجري الحديث على
الاقل بل ان مثل هذه الفوارق مازالت موجودة حتى الآن .

Scanned by CamScanner